إلى من يسمع !...

مقصورة : Villa غمدان : Pyjama

للأستاذ كرم ملحم كرم

عقدنا الأمل الأكبر على المجمع اللغوى المنعقد فى مصر ، وتوسمنا فيه حافزاً للخروج باللغة العربية عن جمودها وهى البعيدة عن روح العصر ، الضيقة المسالك بمستنبطات العلم الحديث ، والفسيحة الفجاج بما لنهضة اليوم غُنية عنه . فكان من المجمع الكريم أن خيبنا خيبة فاضحة . فما جاد علينا رجاله الميامين — دفع الله عنهم الخيبة ! . . . — بكلمة واحدة من الكلمات التى خلقوها أو اشتقوها يجوز الركون إليها . فأتحفونا بالوحشى الغريب النافر منه حتى ابن البادية الجاثم بين كثبانه ونخيله ، ورمونا بمئات « المستشزرات » ونحن نضيق بواحدة منها

ألا عفا الله عن الأرزيز والجاز وأخواتهما . فمن يحفظها ويجهد قلبه فى إثباتها والذوق نفسه يمجها . أنعتمدها نكاية بالذوق ؟

ليعلم المجمع اللغوى السامى المقام أنه كفر بالرسالة المفوض أمرها إليه ، فزلت به القدم فى الخطوة الأولى . وإذا أبى إلا الصراحة قلنا إن ثقتنا به ذهبت عنا ، خصوصاً والمفروض فى إنشاء المجامع العلمية اللغوية رفع اللغة إلى مستوى روح العصر ، لا التقهقر بها إلى ما بعد عشرات الأجيال ، فيتخاطب بها جيل اليوم كما كان يتخاطب بها الأعراب فى البادية

والأعراب أنفسهم نفروا من كل لفظ غريب ، فهل يجوز لمن يفاخر أسلافه بكونه ابتدع الطيارة والموّاج والمذياع أن يتكلم بلغة راعى الشويهة والبعير ، وضارب خيام الوبر ، ومفترش البلس ؟

إنها لأضحوكة . والمجمع اللغوى فى مصر وفر لنا هذه الأضحوكة ، وربما شاء بها أن ينفى عنا جهامة الأيام السود . فالشكر له كل الشكر . على أنه كان فى وسعه أن يثير فينا روح الاعجاب بدل أن يجرنا إلى الضحك فى موقف الجد . فما يدعو رجاله إلى التمسك بالكلام العويص ومجالسة الشنفرى والملك الضليل والهمذانى وصاحبنا الفرزدق وإمامهم زهير والحطيئة وعمر بن أبى ربيعة ولا غضاضة بجرير ؟ . . . فهؤلاء ماحشوا أشعارهم بما لا يُفهم من وحشى غليظ ، بل جاؤونا بكلام يقال اليوم وغداً وسميعه طروب له راض عنه ، لا يحتاج أبداً إلى القاموس كى يدرك ما يقرأ ويقع فى أذنيه . فكأنه وهو يصغى إلى هذا النفر من الشعراء فى حضرة خطيب من أبناء القرن العشرين !

وعندنا أن السادة أعضاء المجمع اللغوى الزاهر لو استشاروا أذواقهم لوقعوا على غير هذه المتكآت المرتقعات . ولكنهم حرصوا على الشاذ فرموا أنفسهم بكل شذوذ . وما ضرهم لو نهجوا نهج الأقدمين فى إثبات الكلمات الدخيلة الشائعة على الألسن والأقلام . وإذا أبوا إثباتها كما هى قليدوروا حولها بما لا تبعد بينهم وبينها الآفاق . فان يروا من الحيف أن نقول « تلفون » و « فونوغراف » و « بيجاما » فما عليهم إلا أن يقاربوا بين هذه الكلمات وكلمات عربية مشتقة أو أن يخلقوا كلمات جديدة غير وحشية تدل عليها

أنا لا أرى اللغة تضيق بكلمة « تلفون » وقد فتحت صدرها لمئات الكلمات الدخيلة من فارسية وعبرية وسريانية ويونانية . فكما أثبتت الاسطرلاب والشمعدان والقنديل والورد والدستور والخردق والمنجنيق وما أشبه ، فى استطاعتها إثبات « تلفون » لاسيما والكلمة شاعت وباتت ملء الأفواه والأسماع . وإذا طاب لأفراد المجمع المحترمين العدول عنها فهناك كلمتا « هاتف » و « ندى » وكلتاهما أفضل من الأرزيز . وليس للمجمع إلا أن يقر إحداهما لتجرى عليها الألسن والأقلام فى البلاد العربية جمعاء ، وهى ترى فى المجمع صاحب الكلمة الفاصلة فى الموضوع إن يكن ثمة تقدير للصواب والمألوف

أجل ، لم يثبت المجمع اللغوى المصرى وجوده . فكان أشبه باخوانه المجامع التى قامت فى سائر البلاد العربية وحاولت أن تخدم لغتها فسقط فى يدها وخفت صوتها ؛ وهذا من سوء

الحظ . فانه ليؤسفنا أن يجول فى الخواطر أن المجمع المصرى لا يملك الكفاية فى القيام بالواجب المفروض عليه ، مع أن رجاله متضلعون من علم اللغة ، ولكن ما ينفع العلم إذا ندّ عن الذوق ؟ ...

هذه كلمات تجرح — ولا نكير — غير أنى أجرؤ على التفوّه بها فالموقف يقضى باعلانها ، خصوصاً ونحن إزاء حقائق لا تجوز فيها المصانعة ولا المحاباة

لقد طلبنا من المجمع أن يلجأ إلى قاموس « لاروس » الفرنسى يترجمه إلى اللغة العربية ، وكفى الله المؤمنين القتال ؛ على أن يترجمه بكلمات غير ثقيلة على السمع ولا مهجورة ، فلم ينزل المجمع على هذا الطلب الحق ، وكان أن تفحنا بألفاظ مستغربة من مخترعاته يؤلمنا أن يتوكأ عليها فى تشييد مكانته ، وهى ألفاظ واهية كالدعامة الوشيكة الانهيار

ولو أنصفت الحكومة المصرية فى اختيار رجال المجمع لنظمت عقده من فئة مختارة لا من علماء اللغة فحسب ؛ بل من أساتذة كل فن . فاللغة مجموعة شاملة لا تقف عند سيبويه ولا عند الكسائى . لا تدين بصلف علماء الكوفة ، ولا بعناد أئمة البصرة . فالعصر يدعوها إلى جمع العلوم كافة . ومجمعها اللغوى يجب أن يضم العلماء من أبناء الفنون دون ما استثناء . فيحشد فى حلقته المهندسون والاشتراعيون والأطباء والصحفيون والتجار وأرباب الصناعات ، ليتفق الجميع على الكلمات المطلوبة لكل فن ومهنة . وهذا ما غاب عن الحكومة المصرية وهى تنشئ صرح المجمع ، فشاءت إصلاح اللغة وتهذيبها فكان أن قضت عليها بتقهقر آخر لسنا بحاجة اليه . فالمصيبة الأولى أهون من مصيبة اليوم فى « نغثات » المجمع العاطرة

ولكن المجال لا يزال رحيباً ، والمجمع قائم البنيان ، ومن السهل التبديل أو الاضافة ؛ فيعمد المجمع إلى محو ما رسم ، أو إلى خلق ألفاظ جديدة لا تعقد فيها . وبهذه الوسيلة وحدها تتعادل الكفتان ، ويثق أبناء اللغة العربية بما يعلن رجال المجمع ويؤيدونه فيما قرّ رأيه عليه ؛ وإلا إذا بقيت الحال كما نرى فما على المجمع إلا أن ينسج بيده كفنه ، وليس فيما اخترع واشتق كلمة تتداولها الأقلام

* * *

لى على المجمع الكريم اقتراح بسيط ، فما يَضرُه لو أقرّ لفظة « مقصورة » لكلمة Villa الفرنجية ؟ ... فالكلمة تحوى معنى القصر وVilla منزل فخم لطيف يشبه القصر بعض الشبه . ثم إن كلمة « مقصورة » معناها حجرة ، واللغة العربية أجازت تسمية الكل باسم الجزء ، عدا أن الكلمة معروفة خفيفة الوقع على السمع ، قريبة المتناول ، مدعاة إلى التفاخر ، غير مهجورة . فمن يقول : « هذه مقصورتى ! . . . » كمن يقول : « هذا قصرى ... ! » وفى ذلك ما يرضى ذوى المطامع وعشاق الأبهة

ولقد تفضل المجمع فأطلق كلمة « ظظر » على Villa الفرنجية فما معنى « ظظر » أيها المجمع المحترم ؟ ... وهب كان لها معنى فمن يتلفظ بها وهى ثقيلة كالرصاص ، على حين أن كلمة «مقصورة» لطيفة شائعة ، تسرع إلى اقتباسها الألسن والأقلام ؟

وهناك كلمة pyjama فاذا يحول دون تسميتها بالغلالة ، والغلالة شعار يلبس تحت الثوب ، فهل مايمنع أن تكون الغلالة pyjama ؟

* * *

أقترح على المجمع اثبات هاتين الكلمتين فى قاموسه ، وإذا استزادنا زدناه ، وإن أبى العمل باقتراحنا طلبنا إلى حملة الأقلام أن يتناولوا اللفظين فيما يكتبون ويتحدثون به وليس فيهما شائبة

ولا يغضب المجمع أن يتصدى لانتقاده كاتب يغار على لغته ويريد لها النهوض والسير فى ميدان العصر الفسيح والخروج من فقرها اللغوى فى عهد المنطاد والسيارة والصاروخ . فهى لا تزال تعيش بذهن عتيق مثلها يوم كان البعير لديها أشبه بالطيارة ، والدهم كالدفع ، والنار فى رؤوس الجبال كالمذياع والمواج

لقد عرف الشيخ ابراهيم البازجى كيف يحضر اللغة بما وفر لها من كلمات مستحدثة تماشى الذوق والعصر ، أيخلو المجمع من مثيل للرجل العلامة وكلٌ ينادى نفسه نعم الفتى ؟ ...

* * *

نحن نخاطب من له أذنان وعينان . فليسمع المجمع اللغوى المصرى الرفيع العماد !

(بيروت) كرم ملحم كرم